بحث فى إعجاز القرآن الكريم

حسنى عبد اللة حسن على[1]

Abstrak

Al-Qur'an sebagai kitab yang menjadi blue print bagi kaum muslim, tidak saja menarik untuk dikaji dalam hal kandungan isinya per se, akan tetapi juga menarik dikaji dari segi manapun dilihat, artinya dari perspektif apapun al-Qur'an akan selalu menampakkan keistimewa-annya. Misalnya dari segi bahasa, seluruh ilmuwan bahasa (rijal al-lughah) mengatakan bahwa tidaklah mampu seseorang untuk menan-dingi keindahan-baik dilihat dari segi tata bahasa maupun nilai sastra yang ada dalam al-Qur'an.

المقدمة

قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون عليه و كان بعضهم لبعض ظهيرًا. القرآن كلام الله المعجزللخلق فى أسلوبه ونظمه و علومه و حكمه وفى تأثير هدايته و فى كشف الحجاب عن الغيوب الماضية والمستق وفى كل فصل من هذه الفصول ساول اعجاز القرآن الكريم، وقد تحدى محمد رس الله النبى الأمى العرب بإعجازه، وحكى لهم عن ربه القطع بعجزهم عن الإ تو سورة مثلة فظهرعجزهم على شدة حرص بلغائهم على ابطال دعوته ونقل ج المسلمين هذاالتحدى الى جميع الأمم فظهرعجزها أيضا.

---

[1] مبعوث الأزهر الشريف الى اندونسيامعلم بجامعة الاسلاميةكلية التربية والأداب قسم اللغة العربية

وقد ثبتت فى مصرثابتة من الزنادقة الملحدين فى آيآت، الصارين عند دين الله، قد سلكوا فى الدعوة إلى الكفروالالحاد شعاباً جددا وللتشكيك فى الدين طرائق قددا، منها الطعن فى اللغة العربية وآدابها والتمارى فى بلا غتها وفصاحتها، وجحود ما روى عن بلغاء الجاهلية من منظوم ومنثور، وقذف رواتها بخلق الإفك وشهادة الزور ودعوة الناطقين با للسان العربى المبين الى هجر أسا ليب الأولين واتباع أساليب المعاصرين. ومنهم الذين يدعون الى استبدال اللغة العامية المصرية بلغة القرآن.

فالكلام عند وجوب الإعجاز واجب شرعاً وهومن فروض الكفاية وقد تكلم فيه المفسرون والمتكلمون وبلغاء الآدباء و المتأنقون ووضع الإمام عبد القادر الجرجانى على البلاغة كتابيه (أسرار البلاغة) (ودلائل الإعجاز) قال الشيخ الرافعى صاحب كتاب اعجاز القرآن إن لكلام الله تعالى أسلوبا خاصاً يعرف أهله ومن امتزج القرآن بلحمه ودمه، وأما الذين لايعرفون منه إلا مفردات الألفاظ وصور الجمل فأولئك عنه مبعدون) وقال فى وصف من امتزج القرآن بلحمه ودمه حاكيا عن نفسه، (انى عندما أسمع القرآن أوأتلوه أحسب أنى فى زمن الوحى، وأن الرسول (ص) ينطق به كما أنزل عليه - أو نزل به عليه - جبريل عليه السلام وبهذا امتاز الامام - رحمه الله تعالى - على الأقرآن ان كان له أقران.

ان الله تعالى قد أوجد بالقرآن اعظم القلوب فى البشر بتأثيره فى نفس العرب. اذ جعلهم بعد اميتهم أساتيذ وسادة العجم، وما فقد المسلمون هداية الا لجهلهم بأسرار لغته لذلك يهاجم أعداؤه الملاحدة والمستعمرون من طريق لغته فليعلم المسلمون هذا)، وليحرصوا على حفظ دينهم بحفظ لغتهم ومما رسة آدابها وأسرار بلاغتها ولتكون غاية هذا كله فهم القرآن. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

أنزل هذا القرآن منجماً فى بضع وعشرين سنة فربما نزلت الآية المفردة، وربما نزلت آيات عدة الى عشر كما صح عن أهل الحديث فيما انتهى اليهم من طرق الرواية، وذلك بحسب الحاجة التى تكون سببًا في النزول، وليثبت به فواد النبى (ص) فان آياته كالزلال الروحية ثم ليكون ذلك اشد على القرب وأبلغ الحجة عليهم وأظهر لوجه اعجازه. وأدعى لأن يجرى أمره فى مناقلا تهم ويثبت فى ألسنتهم ويتسلسل به القول.

وقد كان ابتداء الوحي فى سنة ٦١١ للميلاد بمكة ثم هاجر منها النبى (ص) فى سنة ٦٢٢ الى المدينة، فنزل القرآن مكيا ومدنياً. وكان بعض الصحابة يكتبون ما نزل من القرآن إبتداء من انفسهم أو بأمر من النبى (ص) فيخطونه على ما تفق لهم يومئذ من العسب والكرانيف. وللخاف[2] والرقاع وقطع الأدم وعظام الا كتاف والأضلاع من الشاة والإبل. وقبض رسول الله (ص) والقرآن فى الصدور. ثم نهض أبوبكر بأمر الاسلام وكانت فى مدته حروب الردة والمحاربون أ كثرهم من الصحابة والقراء فقتل في هذه الغزوة عند سبعون قارئا من الصحابة (ويقال سبع مائة أ وكان قد قتل منهم مثل هذا العدد بئر معونه[3] فى عهد النبى (ص) فهال ذلك عمر بن

---

2 العسب : جمع عسب وهو مريد النخل كانوا يكشطون الخوص عنه ويكتبون من الطرف العريض. والكرانيف جمع كرنافة (بالكسر والضم) وهي أصول السعف الغلاظ، واللخاف : جمع لخفة (بفتح فسكون) وهي صفائح الحجارة

3 بئر معونه : موضع قرب المدينة يقال إنه لهذيل. وقيل لسليم.

الخطاب فأشار على أبي بكر الصديق بجمع القرآن الكريم فجمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق على يد زيد بن ثابت وبقيت تلك الصحف عند ابي بكر ينتظر بها وقتها أن يعين حتى إذا توفى سنة ١٣هجرية صارت يعده الى عمر، فكانت عنده حتى مات، ثم كانت عند حفصة بنته صدرًا من ولاية عثمان. ويومئذ اتسعت الفتوحات وتفرق المسلمون فيالامصار فأخذ أهل كل مصر عن رجل من بقية القراء. فأهل دمسق وحمص أخذوا عن المقدارين الأسود وأهل الكوفة عن ابن مسعود، واهل البصرة عن أبي موسى الأشعرى وكانوا يسمون مصحف (لباب القلوب) وأهل الشام تقراءه أبي بن كعب.

لغةالقرآن

الأصل فيمن نزل القرآن بلغتهم قريش لأن رسول الله (ص) قريشى ثم ليكون هذا الكلام زعيم اللغات كلها فان هذا القرآن لو لم يكن بلسان قريش ما اجتمع له العرب البتة. إذن فالقرآن عربى ولغته التى نزل بها هي العربية ولذلك يقول الله تعالى فى سورة الشعراء [بلسان عربى مبين][4] اى هذا القرآن الذى أنزلناه اليك أنزلناه بلسانك العربى الفصيح الكامل الشامل ليكون مبيناً واضحاً ظاهرًا قاطعاً للعذرمقيماً للحجة دليلا على المحجة وقال سفيان الثورى : لم ينزل وحي إلا بالعربية، ثم ترجم كل نبى لقومه واللسان يوم القيامة بالسريانية ممن دخل الجنة تكلم بالعربية رواه بن حاتم. فالعربية لغة أهل الجنة. ولقد هالنى ماسمعت وقرأت عند أحدالمشككين فى الوحي والقرآن الذى أنزل على سيدنا محمد (ص) والذى يفرق بين الوحي والقرآن

---

٤ ابن كثير المجلد الثالث، ص. ٤٦٢

بطريقته الخاصة بطريقة تشم فيها رائحة الفكر العلماني الغربي واليك موجزما كتبه هذا الرجل عند كلام الله سبحانه وتعالى. فقال الوحى هو رساله الله سبحانه وتعالى وحده وقد استعمل لغة غيرمعروفة يمتكلها وحده (Parolo) وهذه الرسالة لم يحدث فيها أى تغيير وعند ما أنزل الله الوحى على سيدنا محمد (ص) والمجتع العربى استعمل فى هذه الرسالة نظام اللغة (لغة المجتمع العربى) لكن هذا الاختيار لم يكن خارجا عن إرادة الله سبحانه وتعالى هذا الوحى الذى حدث له ترجمة وتغيير داخل المجتمع العربى يصح أن يطلق عليه القرآن بينما عندما استعمل المجتمع العربى اللغة فى الوحى وجمع من كتاب فى عهد الخليفة عثمان بن عفان هذا هو الذى يمكن أن نطلق عليه المصحف العثمانى وهو يتساءل هل التفسير الموجود الآن ويعنى المصحف هو فعلا يعنى ما يقصده الله تعالى فى رسالته السماوية أو هو يظهر رسالة الثقافة العربية للمجتمع العربى بصفته يملك اللغة العربية فهو يحاول أن يظهر الدور الذى يلعبه المصحف العثمانى فى ترجمة رسالة الله سبحانه و تعالى.

وعند ما سئل عن دور سيدنا جبريل عليه السلم اعتبره كانه جنى. انما نزل القرآن على سيدنا محمد مباشرة بدون واسطة. [هذا ملخص ما يراه الباحث المسلم] أنا أرى أن هذا الكلام متعارض مع النصوص القرأنية وألسنة النبوية جملة وتفضيلا.

يقول الله سبحانه وتعالى وانه لتنزيل رب العالمين[5]، نزل به الروح الامين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربى منه، وقوله تعالى: انا جعلناه قرآنا عربيا. (*الزخرف٣*) وقوله تعالى: انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون. (*يوسف ٢*)

---

[5] الأيات من ١٩٢ إلى ١٩٥ سورة الشعراء

ونود أن نصحح للكا تب معلوماته فنقول له أن القرآن الكريم بلفظه ومعناه من عند الله سبحانه وتعالى ولم يخضع لأي ترجمة من قبل الرسول (ص) أما الذى حدث فعلا. كما جاء فى كتاب اعجازالقرآن والبلاغة النبوية للدكتور مصطفى صادق الرافعى قولد [أما اللغات التى نزل بها القرآن غير لغة قريش] فهي لغة بنى سعد بن بكر الذين كان النبى (ص) مسترضفا فيهم. وهى إحدى لغات العرب من هوازن ثم سائر هذه اللغات وهى حشم بن بكر، ومضربن معاوية وتضف وتلك هى أفصح لغات العرب حملة ثم خزاعه وهذيل وكنانة وأسد ونقل الواسطى فى كتابة الذى وضعه فى القرآن العشر فى القرآن من أربعين لغة عربية على سبيل المثال، اليمن، عطفان، وسبأ وعمان الخ هذه اللغات هى فى الغالب لهجات.

الجنسيةالعربية فى القرآن

حسبه معجزة ما تقول فيه من صفة الجنسية العربية التى جعل الأمم أحجارًا فى بنائها والدهر على تفادمه كانه احد أبنائها وأمام فيها معضلة سيا سية فى الأرض وضعها ونقدها وفى السماء حلها وعقدها وشد بها المسلمين فهم اذا التلفوا انضموا كالبنيان المرصوص واذا اتفرقوا سطعوا فى تيجان الممالك كالفصوص.

ولقد كان من اعجاز القرآن انه يجمع هؤلاء الذين قطعوا الدهر بالتقاطع على صفة من الجنسية لاعصبيه فيها الا عصبية الروح اذا أخذهم بالفطرة حتى ألف بين قلوبهم وساوى بين نفوسهم وأجراهم على المعرلة فى أفورهم. فجعل منهم أمة تسع الامم بوجهها كيف أقبلت، لانها لاتوجهه إلا الله فكان بينها وبين الله كل ما تحت السماء ومن هذا نشأت الجنسية العربية فإن القرآن بدأ بالتأليف بين مذاهب الفطرة اللغوية فى الألسنة ثم ألف بين القلوب على مذهب واحد وفرغ من أمر العرب فجعلهم سبيلا إلى التأليف بين ألسنة الأمم ومذاهب فلوبها على تلك الطريقة الحكيمة التى لا يأتى علم التربية فى الأمم بأبدع منها.

وأما التأليف بين ألسنتهم فيما ذهب إليه من المعنى العربى الذي حفظه القرآن على الدهر ببقائه على وجهه العربى الفصيح لفظا وحفظا وأداءا لا يجد إليه التبديل سبيلا ولا يأتيه الباطل موجها او محيلا ولا يدخله التحريف كثيرا أو قليلا بحيث كأنه عقده لغوية. لا تخلل من الألسنة المختلفة أبدا وهذا من أرقى معانى السياسة . فإن الإسم إن لم تكن لا جامعة لسانية لا يجمعها الدين ولا غيرالدين إلا جمع تعريفه وجمع النقد بعد هذا هو الذي يشبه الإجتماع في الأصوات علي البياعات وعروض التجارة ونحوها.

فبقاء القرآن على وجهه العربى مما يجعل المسلمين جميعا على اختلاف ألوانهم من الأسود إلى الأحمر كأنهم فى الإعتبار الإجتماعى فى اعتبار أنفسهم جسم واحد ينطق في لغة التاريخ بلسان واحد ممن ثم يكون كل مذهب من مذاهب الجنسية الوطنية فيهم قد زال عن خبزه وانتفى من صفته الطبيعية التى تقدر بها فروض الإحياع ونوافله إنما هي فى الحقيقة لون القلب لا سمنة الوجه.

فهذا الذي أمته القرآن الكريم من العربية لم يأتها في لغة من لغات الأرض ولن تتلاحق أسبابه في لغة بعد العربية. وهذه اللغة الجرمانية انشقت منها فروع كثيرة في زمن جاهليها حتى القرن السادس عشر للميلاد إذ تعلق الدين، والسياسة معا بفرع واحد من الفروع هو الذي نقلت إليه التوارة وبعد أن صار لغة الدين صار دين التوحيد في تلك اللغات المتشابهة وبقيت معه إلى زيغ حتى انطوت في ظله ثم ضحى بنوره فإذا هي في مستقرها من الماضي ونسيت نسيان الميت.

وغن الأن نلتقي نوع أخر من الإعجاز الأدبي فإن أداب هذا الكتاب الكريم إنما هي أداب الإنسانية المحضيه في هذا النوع أنى وجدت وحيث تكون، فلولا الأداب الإنسانية والنفسية في طبائع الإنسان وما تمكنه من صلات الناس بعضهم ببعض وما تعطف منهم جماعة على جماعة وماتطلق من حد المساوات وما تحد من معنى الجزية لكان وجه الأرض قد تغير بما يشمل من الفوضي الإنسانية ولا تنتفض أمرها ثم كانت الشرائع تمسك أشد إفسادها من الفساد كله ثم لسارت كل أمة كأنها جنس من الحيوان في قيامه بنفسه القوادة بنوعه وتميزه بالعداوة لغيره فههنا أكل وههنا مأكول فإذا العالم قد أودي وقطع دابر القوم الذين ظلموا والشريعة فى الجملة لاتعدوا أن تكون كل مجموع من الناس منزلة المرشد المصرف للأفعال على جهة بينة من الحكمة وطريقة لائحة من المنفعة فهي فى الحقيقة عقل هذا المجموع الذي يعقل به وينقاد لأمره.

فالأداب لايكون فى الإنسان إلا شرائع وليس من دليل فى التاريخ على أن هذه الأرض شهدت من خلق الله جيلا إجتماعيا كذلك الجيل الأول في صدر الإسلام حين كان القرأن غضا طريا وكانت الفطرة الدينية هوايته وكانت النفوس مستنحية على أنه جيل متناقض لطباعه ومخالف لعاداته فخرج مما ألف ومع ذلك فإن العلوم فاطبة لم تنشئ جيلا من الناس ولا جماعة من الجن ولا فئة من الجماعة كالذي أخرجته أداب القرأن وأخلاقه من أصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في علوم النفس وصفاء الطبع ورقة الجانب وبسط الجناح ورجاحة اليقين وتمكن الإيمان إلى سلامة القلب وانفتاح الصدروتعاد الدخلة وانطواء الضمير على أطهر ما عسى أن

يكون فى الإنسان من طهارة الخلق ثم العفة في مذاهب الفضيلة من حسن العصمة وسدة الأمانة وإقامة العدل والذلة للحق

ومن هذه الأداب أيضا هذا الأصل أصل المساواة هو الذي كشفه القرأن بقوله عز وجل يأيهاالناس " إنا خلقنكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " فانظر كيف أبان المساواة طبيعة فى الجنس الإنسانى وهي الخلق من الذكر والأنثى وكيف وصف الغاية الإجتماعية للناس شعوبا وقبائل لأنها (ا لتعارف) لم يزد على هذه اللفظة التى لاتشذ عنها فضيلة من فضائل المجتمع قاطبة ثم تأمل كيف أقام هذا الأساس الأدبى العظيم فجعل أكرم الناس المتساويين جميعا فى الحالتين الفردية والإجتماعية هوأتقاهم أي أعظمهم خلقا لا أوفرهم مالا ولا أحسنهم حالا ولا أكثرهم رجالا ولا أثقبهم فهما ولا أعلمهم علما ولا أقواهم قوة ولا شيئ من ذلك وما أشبه ذلك مما يتفاضل به الناس. وحتى أنه لما وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأبلغ الصفات وأشرفها وأسماها لم يزد على قوله (وإنك لعلى خلق عظيم) فكان الأصل الأول في هذه الأخلاق هو (التقوى)

اعجاز القرأن في لفظه ومعناه

لقد أبدى الدكتور محمد وصفى — في مقدمة بحثه أعجابه بإعجاز القرأن الكريم في لفظه ومعناه فقال : (إن بلاغة القرأن الكريم لاتزال من أكبر المعجزات الخالدة التى صيرت عقول البلغاء وأفحمت جهابذه الخطباء وأعجزت فطاحل الكتاب والشعراء نزل القرأن الكريم والعرب لايشق لهم فى البلاغة غبارفتحداهم بقوله (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) فعجزوا ولجأوا إلى الطعن والنزال حين خذلهم المقال واستعانوا ببذاءة اللسان حيث خانهم البيان ولزقتهم

الحجة. أنظر قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) وكيف أن اللفظ اليسير قد حوى المعنى الكبير ثم انظر إلى آية المحيض في جزالة لفظها وسلامة تركيبها كم تحوى من معان سامية تنظر إليها من أي جهة فتبهر بصرك وتأخذ عليك عقلك . فلرجل اللغة فيها مقالات وللفقية جولات وللطبيب فيها عجائب وحالات. وأقسم لا أصل إلى قوله [ويسألونك عن المحيض قل هو أذى] حتى أقف مشدوها وقد أسرني بديع النظم وأخذ بى جلال المعنى وسحرتنى دقة البيان أن لفظ [اذى] هنا للفظ المتواضع فى هذه الأية المعجزة قد نرى كم يضم من المعانى وكم يحتوى من الأعراض والله لقد حاولت أن أجد كلمة تستطيع أن تقوم مقامها أو تحمل حملها فأعيانى البحث وسترى كيف أنه أمثال [إثم ونجس، ضرر إلى أخره] لاتفسر المعنى الذى تؤديه كلمة أذى وسترى كيف أن هذه الكلمة فى هذه الأية دره من درها ومعجزة من معجزاتها.

فأخذ الدكتور يسرد بعض الألام والمضاعفات التى تصيب المرأة أثناء الحيض مما جعل اعتزالها فى أثناءه أمرا واجبا رحمة بها فقال (دورة الحيض رغم كونها طبيعة إلا أنها تسبب للنساء ألاما شتى فإنهن يجدن عادة فى زمن الحيض اغراقا فى مزاجهن ويشعرن بتعب عام فى أجسامهن ويعانين فى بعض الأحيان آلاما شديدة فى أصلابهن ويعانين حدة فى طبعهن إلى غير ذلك من الآلام التى تعتبر فى ذاتها أعراضا للطمث والحيض أما الأضرار التى تصيب الرجل فقد ذكر أن أهمها التهابات حادة تصيب اعضاءه التناسلية) وقال الله الجماع فى الحيض ينذر الرجل بخطر داهم هو في غنى عنه وعن مضاعفاته

والحكمة من نهي الله الرجل عن وطء المرأة أثناء الحيض والنفاس فوق مايترتب عليه من أذى هي تعويد الرجل على الصبر على بعد المرأة عنه مدة من الزمن إذ أن

الرجل كثيرا ما تدعوه أعماله الخاصة إلى السفر والتغيب عن أهله ففي التحرم رحمة به وتقوية لعزيمته مثل الصيام